

التبيان في تفسير القرآن

(446) وقوله " ليلا " معناه بعض الليل، على تقليل وقت الاسراء، ويقوي ذلك قراءة حذيفة، وعبدالله " من الليل " وروت أم هاني بنت ابي طالب: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في منزلها ليلة أسري به. وقال الحسن وقتادة: كان في نفس المسجد الحرام. وروي عن أم هاني أن الحرم كله مسجد. والمسجد الأقصى هو بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود - في قول الحسن وغيره من المفسرين - وإنما قيل له: الأقصى، لبعد المافة بينه وبين المسجد الحرام. وقال الحسن: صلى النبي صلى الله عليه وسلم المغرب في المسجد الحرام. ثم أسري به إلى بيت المقدس في ليلة ثم رجع، فصلى الصبح في المسجد الحرام، فلما أخبر به المشركين كذبوا ذلك، وقالوا: يسير مسيرة شهر في ليلة واحدة؟ ! وجعلوا يسألون عن بيت المقدس وما رأى في طريقه، فوصفه لهم شيئاً شيئاً بما يعرفونه ثم أخبرهم أنه رأى في طريقه قعبا مغطا مملوءا ماء فشرب الماء كله ثم غلطاه كما كان، ووصف لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل المتاع، فقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق، فقعدو في ذلك اليوم يستقبلونها، فقال قائل منهم: هذه والله الشمس قد أشرقت، ولم تأت وقال آخر هذا والله العير يقدمها جمل أورق، كما ذكر محمد، فكان ذلك معجزة له باهرة، ودلالة واضحة لولا العناد، وكان نفس الاسراء حجة له صلى الله عليه وسلم لا أنه يحتاج إلى دلالة كغيره، ولذلك قال تعالى " لنريه من آياتنا " فكان الاسراء من جملة الآيات التي تؤكد بها يقينه وازدادت به بصيرته، لأنه كان قد علم نبوته بما تقدم له من الآيات، فكان هذا على وجه التأكيد لذلك. وعند أصحابنا وأكثر أصحاب التأويل، وذكره الجبائي أيضا: أنه عرج به في تلك الليلة إلى السماء وأت حتى بلغ سدره المنتهى في السماء السابعة، وأراه الله من آيات السموات والأرض ما ازداد به معرفة ويقينا، وكان ذلك في يقظته دون منامه، والذي يشهد به القرآن الاسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والباقي يعلم بالخبر. وقوله " الذي باركنا حوله " يعني بالثمار ومجاري الأنهار، وقيل " باركنا "